

## مُسَافِرٌ مِنْ دُوسٍ

ذلك هو الطفيل بن عمرو الدوسي، في بلاد زهران، وفي أرض دوس نشأ بين أسرة شريفة كريمة . . وأوتي موهبة الشعر، فطار بين القبائل صيته ونبوغه . . وفي مواسم «عكاظ» حيث يأتي شعراء العرب من كل فجّ، وحيث يجتمع الناس ويحتشدون، ويتباهون بشعرائهم، كان «الطفيل» يأخذ مكانه في المقدمة . .

كما كان يتردد على مكة كثيراً في غير مواسم «عكاظ» . . وذات مرة كان يزورها، وقد شرع الرسول ﷺ يجهر بدعوته . . وخشيت قريش أن يلقاه «الطفيل» ويسلم وتسلم قبيلته، ثم يضع موهبته الشعرية في خدمة الإسلام، فتكون الطامة على قريش وأصنامها . . من أجل ذلك أحاطوا به . . وهيؤوا له من الضيافة كل أسباب الترف والبهجة والنعيم، ثم راحوا يحذرونه لقاء رسول الله ﷺ، ويقولون له: إن له قولاً كالسحر، يُفرّق بين الرجل وأبيه، والرجل وأخيه، والرجل وزوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك منه، فلا تكلمه ولا تسمع منه حديثاً!!

ولنصغ للطفيل ذاته يروي لنا بقية النبأ، فيقول:  
فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت في أذنيّ حين غدوت إلى المسجد كرسفاً - يعني قطعاً - فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه. قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة. فقممت منه قريباً، فأبى

الله إلا أن يسمعي بعض قوله، قال: فسمعت كلاماً حسناً، فقلت في نفسي: وائكل أمي؛ والله إني لرجل لبيب شاعر وما يخفى عليّ الحسن من القبيح، فما يمني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول! فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته.

فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، والذي قالوا، فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لثلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعي قولك، فسمعتة قولاً حسناً، فاعرض عليّ أمرك.

قال: فعرض عليّ رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا عليّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه. فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبي الله، إني امرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم، وداعيتهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه، فقال: اللهم اجعل له آية.

وكانت آيته أنه لما دنا من قومه جعل الله نوراً في وجهه مثل المصباح، فقال: اللهم في غير وجهي، أخشى أن يقولوا: هذه مثلة، فتحول النور إلى سوطه.

فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور في سوطه كالقنديل المعلق.

قال: وأنا أهبط إليهم من الثنية، حتى جئتهم فأصبحت فيهم.

فلما نزلت أتاني أبي، وكان شيخاً كبيراً، فقلت: إليك عني يا أبت، فلست منك ولست مني قال: ولم يا بني؟ قلت: أسلمت وتابعت دين

محمد ﷺ، قال: أي بني، فديني دينك، فقلت: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت. فذهب فاغتسل، وطهر ثيابه، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم.

ثم أتتني صاحبتني - زوجته - فقلت: إليك عني، فلست منك ولست مني، قالت: لم؟ بأبي أنت وأمي، قلت: قد فرّق بيني وبينك الإسلام، وتابعت دين محمد ﷺ، قالت: فديني دينك، فذهبت فاغتسلت، ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام، فأسلمت.

ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطؤوا عليّ، ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة فقلت له: يا نبي الله، إنه قد غلبني على دوس الزنى والربا، فادع الله عليهم، فقال: اللهم اهد دوساً وأت بهم. ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم.

فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام، حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ومضى بدر وأحد والخندق، ثم قدمت على رسول الله بمن أسلم معي من قومي، ورسول الله ﷺ بخيبر، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس، ثم لحقنا برسول الله ﷺ بخيبر، فأسهم لنا مع المسلمين.

ثم لم أزل مع رسول الله ﷺ، حتى إذا فتح الله عليه مكة، قلت: يا رسول الله، ابعثني إلى ذي الكفين، صنم عمرو بن حُمّة حتى أحرقه. فخرج إليه فجعل طفيل يوقد عليه النار ويقول:

يا ذا الكفّين لست من عبّادكا  
میلادنا أقدم من میلادكا  
إني حشوت النار في فؤادكا

قال: ثم رجع إلى رسول الله ﷺ، فكان معه بالمدينة حتى قبض الله رسوله ﷺ، فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين، فسار معهم حتى فرغوا من طليحة، ومن أرض نجد كلها. فقتل شهيداً باليمامة.

رضي الله عنه وأرضاه لقد كان سفره إلى رسول الله ﷺ سفراً مباركاً، عادت بركته وخيره على الطفيل وأهله وعلى قبائل زهران عموماً، بل على الإسلام والمسلمين في كل مكان وزمان. وذلك لأنه تسبب بأمر الله تعالى في أن خرَّج للإسلام رجالاً عظماء وعلماء أجلاء كان لهم أعظم النفع وأكرم العطاء على الإسلام وأهله، وعلى رأسهم حافظ حديث رسول الله ﷺ وأعظم راوية في الإسلام أبوهريرة رضي الله عنه وأرضاه ومن أولئك العظماء الذين أخرجتهم زهران عمرو بن الطفيل، والصحابي الجليل جنادة بن أبي أمية العبدي الزهراني، وهو قائد أسطول معاوية رضي الله عنهم جميعاً، وعبدالله بن مالك بن القشب وهو صحابي جليل من فقهاء الصحابة وممن عرف بالفتوى وهو المعروف بـ «ابن بحينة» ومنهم صهر رسول الله ﷺ وهو الطفيل بن عبدالله الزهراني أخو عائشة بنت أبي بكر لأمها لأن أم رومان زهرانية. ومن أولئك الرجال أبو الربيع الزهراني - وهو من رواة الحديث - والخليل ابن أحمد، وابن دريد صاحب المقصورة... الخ.

## المسافر والحدائق الغناء

الحدائق الغناء، والمروج الخضراء، والأشجار المثمرة، والأزهار العابقة، والورود الباسمة، والرياض الناضرة، والجنان الآسرة، والأنهار السائرة هي من نعم الله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٤١﴾ [الأنعام: ٩٩]

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ [الأنعام: ١٤١]

كل ذلك يبهج الإنسان ويمتع حياته، ويؤنس قلبه، ويسلب لبه، ويروق لناظره، ولكنها بالنسبة للمسلم تثير في نفسه أشياء عظيمة، وتحرك في وجدانه مشاعر جميلة إنها تذكره بجنان الخلد، وبالنعيم المقيم وبما أعده الله لعباده المؤمنين فيقف أمام جنان الدنيا وقفة إعجاب. . . وقفة دعاء ورجاء للظفر بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُمَاتُهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ [الرعد: ٣٥]

[الرعد: ٣٥]

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ

وَأَنْهَرُ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِيدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ [محمد: ١٥]

﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ ﴿١٦﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٧﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَطْوَفُهَا نَذِيلًا ﴿١٨﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٩﴾ قَوَارِيرًا مِّن فِضَّةٍ قَدْرُوهَا لِقَدِيرًا ﴿٢٠﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿٢١﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ﴿٢٢﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا ﴿٢٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٤﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعٌ آسَاوِرٌ مِّن فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمُ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢٥﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُرْجَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٦﴾

[الإنسان: ١٢-٢٢]

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٢٦﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٢٨﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٢٩﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾

[النبا: ٣١-٣٦]

قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة بحر الماء، وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار بعد»

وقال ﷺ: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها»

وقال ﷺ: «إن في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب أحد»

وقال ﷺ: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك. فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟

فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً. ثم قرأ رسول الله ﷺ قول الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فقال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه. فيقولون: وما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ألم يبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار؟! قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقرراً لأعينهم» [متفق عليه]

والمسلم إذا وقف أمام هذا النعيم الدنيوي الزائل، وهذا الجمال الخلاب الذاهب تذكر أن هنالك أمماً كثيرة سبقته فما أغنى عنها هذا النعيم شيئاً وتركته وراءها وذهبت إما إلى نعيم أعظم منه وأدوم، وإما إلى شقاء وتعاسة والعياذ بالله.

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَنِكَهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾  
[الدخان: ٢٥-٢٩]

﴿أَتُركُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ ﴿١٥﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٦﴾ وَتَنجُّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٧﴾ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥﴾﴾  
[الشعراء: ١٤٦-١٥٠]

فاعمل أخي المسافر للنعيم المقيم وللفوز العظيم وعلى قدر المشقة في السفر يكون الفوز والظفر.